الحكمة من الزواج

١ - الزواج قانون إلهي عام :

فالزوجية تشمل خلق الله سبحانه وتعالى جميعاً ، قال الله تعالى : ﴿ وَمِن كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ (٤٩) ﴾ [١] ، وعندما يتزوج المسلم فهو يصيب عندئذ قانوناً إلهياً ، فيصبح فى انسجام مع الكون ، ومع خلق الله سبحانه جميعاً ، فقد خلق الله سبحانه وتعالى كل شيء حولنا زوجين ، أحدهما فاعل ، والآخر قابل للفعل ، ومن هنا نعلم ونرى أنه يجب أن يكون الرجل قائم بأمر المرأة وله القوامة عليها ، لأنها اتصفت بقبول الفعل وخضوعها للرجل ، وعندما انتكست فطرة قوم ، فجعلوا الفاعل مفعول به ، وتركوا ما خلق الله لهم من أزواجهم ، كان جزاؤهم من جنس العمل ، فانتكست بهم الأرض ، قال الله تعالى : ﴿ فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا جَعَلْنَا عَالِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ مَّنضُودٍ (٨٢) ﴾ [٢] ، فإن قوم لوط بفعلتهم الشنيعة ، قد سلبوا أنفسهم أخص خصائص الرجولة ، فأصاب الرجال ميوعة وخنوع ، ومن اتصف بتلك الصفات لا تقوم عليه حضارة ، ولا يقوم بمهام خليفة الله فى أرضه ، فكان هلاكهم بتلك الصورة .

٢ - المحافظة على النسل :

من أجلّ حكم الزواج المحافظة على النسل والنوع ، قال تعالى : ﴿ وَاللَّهُ

---

(١) سورة الذاريات الآية « ٤٩ » .
(٢) سورة هود الآية « ٨٢ » .

جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا وَجَعَلَ لَكُم مِّنْ أَزْوَاجِكُم بَنِينَ وَحَفَدَةً ﴾ [١] ، ولذلك أودع الله فى كل من الذكر والأنثى ميلاً شديداً لصاحبه ، وجعل هذا الميل وتلك الشهوة من أقوى شهوات الإنسان ، ولولا تلك الشهوة ما أقدم أحد من بنى البشر على الزواج ولهلك الحرث والنسل ، وكان لهذه الحكمة أيضاً حض رسول الله ﷺ على تزوج المرأة الولود لما فى ذلك من تكثير سواد المسلمين ، فقال ﷺ : « **تزوجوا الودود الولود ، فإنى مكاثر بكم الأمم يوم القيامة** » [٢] .

فالزواج إذن يهدف لجلب ذرية صالحة للمجتمع من أجل طاعة الله وعمارة الأرض ، لذلك كان من دعاء عباد الرحمن ﴿ **وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا (٧٤)** ﴾ [٣] .

وقد رأى نبى الله نوح عليه السلام أن يستخدم خاصية حب الولد والذرية فى دعوة قومه إلى الله ، ترغيباً منه لهم فى دخول دين الله ، قال تعالى : ﴿ **فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا (١٠) يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا (١١) وَيُمْدِدْكُم بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَارًا (١٢)** ﴾ [٤] .

ولما كان حب الولد أمراً فطرياً فى بنى البشر حذر الحق سبحانه عباده من أن يكون لاهياً لهم عن الغاية التى خلقوا من أجلها ﴿ **وَاعْلَمُوا أَنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ** ﴾ [٥] .

---

(١) سورة النحل الآية « ٧٢ » .
(٢) رواه أبو داود والنسائي والحاكم .
(٣) سورة الفرقان الآية « ٧٤ » .
(٤) سورة نوح الآيات « ١٠ ، ١٢ » .
(٥) سورة الأنفال الآية « ٢٨ » .

٣ - تحقيق تماسك المجتمع وصلابته :

فالزواج هو الوسيلة الوحيدة لتكوين الأسرة ، والأسرة هى لبنة المجتمع ، وبالأسرة تتم المصاهرة والترابط بين عشائر المجتمع ، قال الله تعالى: ﴿ وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ مِنَ الْمَاءِ بَشَرًا فَجَعَلَهُ نَسَبًا وَصِهْرًا وَكَانَ رَبُّكَ قَدِيرًا (٥٤) ﴾ (١) .

والرجل يواجه فى الحياة صنوف المعاناه ، وفى حاجة عند رجوعه إلى بيته أن يجد ما تسكن إليه نفسه ، ويرتاح إليه قبله ، وتقرّ به عينه ، قال تعالى : ﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ (٢١) ﴾ (٢) .

فالزواج امتاع من الناحية النفسية والجنسية وليس هذا فحسب ، وإنما أيضاً حب ورحمة وعشرة طيبة بين الزوجين ، ثم تربية للأبناء على أُسس قويمة ومبادئ راسخة ، تخدم المجتمع وتحقق قوته ونهضته .

٤ - حماية المجتمع من خطر الفوضى الجنسية :

شرع الزواج أيضاً لحماية المجتمع من أن تشيع الفاحشة فى أرجاءه ، قال تعالى : ﴿ وَأُحِلَّ لَكُم مَّا وَرَاءَ ذَٰلِكُمْ أَن تَبْتَغُوا بِأَمْوَالِكُم مُّحْصِنِينَ غَيْرَ مُسَافِحِينَ فَمَا اسْتَمْتَعْتُم بِهِ مِنْهُنَّ فَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ فَرِيضَةً ﴾ (٣) .

فهى علاقة فى النور ، يشهدها الخلق ، ويعرف القاصى والدانى أن فلان وفلانه قد تزوجا على منهج الله وسُنة رسوله ﷺ ، وفرق بين النكاح

---

(١) سورة الفرقان الآية « ٥٤ » .
(٢) سورة الروم الآية « ٢١ » .
(٣) سورة النساء الآية « ٢٤ » .

والسفاح الإعلان .

وجاء الأمر المباشر من الحق سبحانه لمن لم يستطع الزواج بالعفة والكرامة ، قال تعالى :﴿ وَلْيَسْتَعْفِفِ الَّذِينَ لا يَجِدُونَ نِكَاحًا حَتَّىٰ يُغْنِيَهُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ ﴾ (١) .

وكان عقوبة من أحصنه الله بالزواج ثم ذهب إلى مكان آخر ليحرث فيه هى الرجم حتى الموت ، وليس أقل من هذا ، لأنه بفعله هذا الذى أعلنه فى المجتمع بشهادة الشهود ، قد تحدى الله ورسوله والمؤمنين ، وأراد أن يضرب المجتمع المسلم فى مقتل ، فكان قتله أولى ، ولا يخفى على المسلم أن الفوضى الجنسية لها آثار مدمرة على الفرد والمجتمع ونذكر منها :

١ - أن يبتلى المجتمع بأولاد لا أنساب لهم ، فاقدى حنان الأمومة ، ولا يتمتعون برعاية الأب أو ذوى القرى من أعمام وأخوال (٢) وغيرهم ، ويكونون ناقصى التربية فهم خطر كبير على المجتمع .

٢ - انتشار الأمراض الفتاكة والتى تسير فى المنحرفين سيران النيران فى الهشيم ، وربما انتقلت عدواها إلى غيرهم ، فيصاب بها من هو عفيف شريف .

٣ - أن نرى جيلاً من الشباب والفتيات غير قادر على تحمل المسئولية ، خلقه الخنوع والخلاعة ، ويهتم بسفاسف الأمور ، ويغرق فى بحر من الترهات.

---

(١) سورة النور الآية « ٣٣ » .

(٢) آداب الخطبة والزفاف وحقوق الزوجين ، أ / عبد الله ناصح علوان .

٤ - أن تنشأ فى المجتمع تجارة البغاء ، فينصرف إليها كل فاجر وفاجرة ، ويتصيدون لها من ضعفت نفسه وقلت تربيته ، وينصرف الشباب عن الطريق الحلال ويهلك النسل ، ويمتلىء المجتمع بالفساد .

٥ - تدمير الحضارة والتقدم ، فكم من حضارة بلغت مبلغاً عظيماً من العلم ، وعندما انحدرت أخلاقها ، وتميّع الشباب ، واتجه الناس نحو الرذيلة ، جاءها أمر ربك فأصبحت كهشيم المحتضر ، ولنا فى حضارة الرومان وغيرهم العبر ، ولقد علم ذلك الأمر غير المسلمين من رجال الفكر والسياسة ، فقد صرح الرئيس جون كنيدى الرئيس الأسبق للولايات المتحدة الأمريكية ، صرح عام ١٩٦٢ فقال :

« إن مستقبل أمريكا فى خطر ، لأن شبابها مائع منحل غارق فى الشهوات ، لا يقدر المسئولية الملقاه على عاتقه ، وأنه من بين سبعة شبان يتقدمون للتجنيد يوجد سته غير صالحين لأن الشهوات التى أغرقوا فيها أفسدت لياقتهم الجسمية والنفسية » (١) .

وقد أدى الإنحلال الأخلاقى بدول عظمى إلى الهزيمة « وقد اعترف المؤرخون بأن السبب الرئيسى فى سقوط - بارس - عاصمة فرنسا أمام الجيش الألمانى خلال أسبوعين ، هذا الإنغماس فى الشهوات ، والإنكباب على الملذات ، والخوف على مراقص ومواخير فرنسا من قنابل الألمان ، مع أن خط - ماجينو - الدفاعى الذى أنشأته فرنسا لحمياتها كان أحصن وأشد ما عرف فى التحصينات الحربية فى ذلك الحين » (٢) .

---

(١) ، (٢) الدعوة الإسلامية والإنقاذ العالمى أ / عبد الله ناصر علوان .

وأنه فى الأربعينات من هذا القرن كان ٩٠ ٪ من الشباب الأمريكى مصاباً بالزهرى ، و٦٠ ٪ منهم مصاباً بالسيلان ، و٤٠ ٪ مصاباً بالبرود الجنسى [١] .

وفى نيويورك « ١٢٠٨٢٩ » عملية إجهاض سنة ١٩٧٤ بنسبة «١١٣٨ : ١٠٠٠ » إجهاض : ولادة ، ٦٧ ٪ من المجهضات غير متزوجات ، وفى نيويورك أيضاً « ١٫٢٠٠٫٠٠٠ » شاذ جنسياً ، وأجريت فى جامعة لوس انجليس ، وفى كاليفورنيا إحصائيه للشاذين جنسياً فى الجامعة فكانت النسبة ٨٤ ٪ ، وقد كان عدد المستشفيات للأمراض الجنسية فى أمريكا « ٦٥٢ » وهذا يفوق جميع المستشفيات حينئذاك لجميع الأمراض ما عدا السل [٢] .

وما يحدث حالياً ومنذ فترة من ترويج ودعاية لوسائل تحديد النسل وتنظيم الأسرة ، وإباحة للإجهاض ، هو فى الأصل كان لمساعدة انتشار الرذيلة ، وقتل أولاد الزنى قبل أن يولدوا ، فقد ذكر المودودى أنه يموت فى أمركيا ما بين ثلاثين وأربعين ألف طفل بمرض الزهرى الموروث وحده كل عام .

وأن الآلات والعقاقير المانعة للحمل معروضة للبيع فى الحوانيت كالسلعة المباحة تستصحبها دائماً بنات المدارس والكليات لكى لا تفوت إحداهن لذات عشية من عشيات الشباب .

---

(١) الحجاب ، لأبو الأعلى المودودى .
(٢) الإسلام ومستقبل البشرية . د / عبد الله عزام .